في حالة انفجار صدام بين الجيوش العربية النظامية والعدو الاسرائيلي

لو وقعت الحرب!

توقعات الجولة الرابعة في الصراع العربي الاسرائيلي

بقلم: أبو هام

يستند المقال التالي على طرح افتراض بوقوع المعركة مع انتهاء عام الحسم (ليس بالمعنى الحرفي لنهاية ١٩٧١) وهو يعالج الواقع الذي سينجم عن ذلك . وبكلمات اخرى فانه لا يعالج مسالة تحرير فلسطين ، بل شكل الخارطة العسكرية عند حصول صدام بين الجيوش النظامية العربية وجيش العدو الاسرائيلي ، وتنبغي قراءته على هذا الاساس ، والا فان الخطأ في فهم مقاصده يصبح ممكنا .

لقد عبر « ابو همام » في عدة مقالات سابقة له نشرت في « الهدف » عن تصوره للمعركة كمواجهة بين حركة التحرر العربي وبين الامبريالية ، واقاض في الحديث عن شروط الانتصار في معركة من هذا الطراز ، ولذلك فهو لم يشعر بضرورة تكرار كل ما ورد في تلك الكتابات كمدخل لمقاله التالي الذي يعالج افتراضا محددا .

وكذلك فان « الهدف » – من خلال مقالاتها وافتتاحياتها تحليلاتها – آراء معروفة ومستندة على التزام بايديولوجية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول المدى الذي تستطيع ان تصل اليه انظمة البورجوازية الصغيرة العسكرية في المعركة ضد اسرائيل والامبريالية ، وايضا حول جدية « عام الحسم » ، ويجب الا يغيب ذلك كله عن الذهن عند قراءة هذا المقال .

« الهدف »

– ١ –

السياسة والحرب عملان متداخلان متكاملان لا ينفصل احدهما عن الاخر في اي صراع . واذا كانت السياسة – بجانبيها الداخلي والخارجي – عبارة عن العلاقات بين الطبقات ، والامم ، والدول ، والانظمة الاجتماعية المختلفة ، وتعكس صراعاتها ومصالحها المتباينة المتناقضة ، فان الحرب هي « امتداد للسياسة بوسائل اخرى » (١) (عنيفة) اي انها وسيلة من وسائل حل الخلافات الاجتماعية والدولية ، وتحقيق الهدف الذي يفشل العمل السياسي في بلوغه خلال مرحلة محددة من مراحل الصراع .

وبدلا حل الخلافات بين القوى المتصارعة عادة عن طريق السياسة . وتسعى كل قوة الى تجنب الحرب ما امكنها ذلك ، واجبار الخصم على قبول وجهة نظرها بكل الوسائل التي لا ترتقي الى مستوى العنف المكشوف . ولكنها لا تنسى وهي تسير على هذا السبيل بان اهمية الهدف وحيويته بالنسبة للخصم ، وقدرة هذا الخصم على العمود العنف – او اعتقاده على الاقل بقدرته على العمود – تجعله يقف موقف الرفض والتجاهل من كافة المناورات والضغوط السياسية ، وتجعل اللجوء الى وسيلة عنيفة (الحرب) امرا لا مندوحة عنه لاخضاع ارادة الخصم لارادتها .*

وتنتصر الاساليب السياسية التقليدية في العنيفة عندما تكون قوة احد الطرفين كبيرة جدا الى درجة تخلخل ميزان القوى بشكل واضح لا جدال فيه ، وتجعل الطرف الاضعف مضطرا للخضوع عن طريق وجود القوة ، او التلويح بها والتهديد باستخدامها ، كما انها تنتصر عندما يكون توازن القوى مستقرا بشكل يجعل اللجوء الى القوة يعني « الاستنزاف المتبادل » الذي قد يصل الى درجة « الانتحار المتبادل » .

ولا تنشب الحروب التي هي « عمل من اعمال العنف يستهدف اكراه الخصم على تنفيذ ارادتنا » (٢) ، ولا تنتقل السياسة من المسرح الهادىء الى المسرح العنيف – مع استمرار العمل في المسارح الهادئة الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والايديولوجية والاستخبارية – الا عندما يتفوق احد الخصمين تفوقا محددا (حقيقيا او موهوما) لا يكفي لردع الاضعف ولكنه يغري الاقوى (او من يظن بانه الاقوى) على بدء القتال وهو ضامن للنصر . او عندما يتفوق احد الخصمين تفوقا خفيا مؤقتا لا يمكن ان يستمر ، فيشن الحرب لاستثمار هذا التفوق دون التهديد به حتى لا تضيع الفرصة السانحة، وتتبدل موازين القوى من جديد . او عندما يحقق كل طرف من الطرفين تفوقا محدودا غير حاسم ، لا يكفي لردع الخصم ، ولكنه يدفع كل واحد من الخصمين المتنازعين الى الاعتقاد بقدرته على النصر بعد الافادة من الايجابيات المتوفرة لديه ، والسلبيات الموجودة عند خصمه، وقلب التفوق المحدود الى تفوق حاسم . او عندما يكون التفوق الاقوى غير حاسم بشكل مطلق و « هدف النزاع » بالنسبة للاضعف كبيرا وحيويا من الناحية الاقتصادية او المعنوية او البشرية او الجيوبوليتيكية (الجغرافية – السياسية) ، بشكل يجعله مصمما على القتال على اعتبار ان الخسارة التي ستلحق به خلال القتال اقل من الخسارة التي ستصيبه اذا ما خضع لارادة الخصم السياسية .

« وتمهد السياسة للحرب ، وهي التي تلدها، وهي التي تصوغ اهدافها ، وهي التي تحدد متى تبدأ وتشتعل وتنتهي العمليات العسكرية » (٣) وعلى ضوء هذه السياسة يتم انشاء الاستراتيجية والتكتيك ، ومن طبيعة السياسة تنبثق طبيعة الجيش الطبقية واساليبه التنظيمية . ولكن الحرب في حد ذاتها سياسة من نوع خاص ، لها منطقها الخاص ، ووسيلتها الخاصة ، وهي العنف المسلح الذي تمارسه القوات المسلحة . وما ان تنشب الحرب حتى تصبح القوات المسلحة الاداة الرئيسية للسياسة . ولا تستطيع هذه الاداة تحقيق الهدف الذي تبتغيه السياسة الا اذا اعدتها السياسة ماديا ومعنويا بشكل يتناسب مع هذا الهدف ، وامنت وسائل الصراع المسلح الضرورية لتحقيقه .

ولا يقتصر عمل السياسة على اعداد العدة المادية والمعنوية في داخل البلاد ، وتحديد المهام الاستراتيجية ، ولكنه يتسع حتى يشمل على « خلق الظروف المناسبة لتنفيذ هذه المهام » (٤) والظروف هنا نوعان داخلية تتعلق باعداد البلاد معنويا وسياسيا واقتصاديا لزج كافة القوى في الحرب ، وخارجية تستهدف اكتساب الاصدقاء وعقد الاحلاف وتحييد جزء من الاعداء ، وتفتيت عسكر الخصم ، وضمان التاييد العالمي .

واذا كان خلق الظروف الداخلية عملا اساسيا لاعداد القوة ، فان خلق الظروف الخارجية هو فتح المجال اللازم لعمل هذه القوة . وما هذا سوى جزء مما اسماه الجنرال بوفر بكسب « المناورة الخارجية » اي « التاكد من الحصول على حرية عمل قصوى لشل الخصم بواسطة الف رباط ورباط من الردع » (٥) .

(١) « في الحرب » كلاوزفيتز . ص٨٩ من النسخة العربية .

(٢) « في الحرب » كلاوزفيتز . ص٨٠ من النسخة العربية .

(٣) « الحرب وسياسة » – الفيد كوندراتكوف ، المجلة العسكرية السوفياتية ، اكتوبر ١٩٧١ . ص٤ .

(٤) « الاستراتيجية العسكرية السوفياتية » الجنرال سوكولوفسكي واخرون ص ٤٢ من النسخة العربية .

(٥) « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية » الجنرال بوفر . ص١٥٦ من النسخة العربية .

وهكذا تعد السياسة للحرب على الصعيدين الداخلي والخارجي ، ثم تحاول تحقيق هدفها بمختلف الاساليب بما في ذلك الاساليب الحربية التي ما ان تحقق مهماتها العسكرية حتى تترك مكانها من جديد للاساليب السياسية والدبلوماسية . ولا يعتبر النصر العسكري وتحقيق المهمات الحربية هدفا في حد ذاته . ولكن وسيلة تستخدمها السياسة خلال مراحلها الجديدة وضغوطها الجديدة لتحقيق هدفها السابق الذي فشلت من قبل في الوصول اليه .

– ٢ –

هذه هي العلاقة الجدلية بين السياسة والحرب . وتدل وقائع الحروب العربية الاسرائيلية الثلاث السابقة ، والمعارك المحلية التي كانت تتخلل فترات الهدنة . على ان زعماء الصهيونية واعون كل الوعي لهذه الديناميكية . فلقد حددوا منذ البداية هدفين سياسيين : الامن والتوسع . وهما هدفان متكاملان ، اذ يساعد التوسع على زيادة احتمالات الامن لانه يخلق هوامش حيطة كافية ضد الاخطار الجوية والصاروخية ، كما يسمح بالحصول على ارض تسمح باستيعاب عدد جديد من المهاجرين اي زيادة القوة اللازمة للامن ، والامن عامل اساسي في تكريس التوسع ، لانه عنصر جذب لرؤوس الاموال والقوى البشرية التي تجعل التوسع الجغرافي توسعا ديموغرافيا واقتصاديا . اي تجعل منه عامل امن جديد .. وهكذا .

وتمسك قادة العدو بالهدفين المحددين وسعوا الى تحقيقهما بكافة الاساليب السياسية (دبلوماسية ، ضغوط ، اغراءات ، مؤامرات) ولكن ضخامة اهمية « هدف النزاع » بالنسبة للعرب ، وخاصة بالنسبة للشعب العربي في فلسطين (وجود او لا وجود) وجسامة خطورة الوجود الاسرائيلي على الحركة التقدمية العربية كلها ، جعل الاساليب السياسية عاجزة عن تحقيق الهدف بشكل كلي . الامر الذي دفع العدو ثلاث مرات الى استخدام العنف كوسيلة للوصول الى الهدف .

ومع هذا فان عدونا لم يستخدم العنف المجرد ابدا ، بل كان يستخدم في كل مرة العنف المترافق مع الاساليب الاخرى . وكان عمله في المرات الثلاث يتم وفق المراحل التالية :

١ – اكتساب « المناورة الداخلية » عن طريق تعضيد جبهته الداخلية ، وتعبئة كافة القوى .

٢ – اكتساب « المناورة الخارجية » عن طريق الردع ، والتهديد ، والدسائس ، وتفتيت الصف العربي ، وبذر بذور التناقض بين العرب وحلفائهم من الدول الاشتراكية ، واكتساب تاييد الراي العام العالمي (الظهور بمظهر المعتدى عليه) ، وجمع الحلفاء من دول الغرب التي تتفق مصالحها الامبريالية في منطقتنا مع مصالح الاسرائيلية .

٣ – تسديد ضربة تحقق نصرا عسكريا .

٤ – المساومة على النصر والمكاسب في سبيل تحقيق توسع قابل للهضم ، وامن وسلام اسرائيليين ، او الاحتفاظ بالارض المكتسبة او باكبر جزء منها على الاقل في حال تعذر الوصول الى الامن .

ولقد اعتقد زعماء العدو ان النصر العسكري الذي حققوه في حرب عام ١٩٦٧ ، والدعم الاميركي اللامحدود ، كفيران الى حد يدفعهم الى عدم التخلي عن المكاسب العسكرية المؤقتة قبل الوصول الى هدفهم السياسي المزدوج الدائم .

وهذا هو سر تعنتهم وتحديهم للمجتمع الدولي الذي ادانهم اكثر من مرة . ومن المعروف ان العالم العربي انقسم بعد المناورات السياسية الاسرائيلية – الاميركية الى معسكرين : « معسكر الدعوة للحرب » الذي يعرف بان اسرائيل بطبيعتها ، وتكوينها ، ومهمتها ، والهدف الذي قامت من اجله لا تعني بالسلم سوى السلم الاسرائيلي الذي يجبر العرب على التخلي عن « كل حق » مقابل استعادة « جزء من الارض » ، ولذا فهو يرفض اي حل سياسي من موقع الهزيمة ، ويعتبر المبادرات السلمية الاميركية وغيرها جزءا من المناورة الرامية لاركاع الامة العربية ، وتحقيق الهدف السياسي الذي قامت حرب ١٩٦٧ من اجله . و « معسكر الحل السلمي » الذي يعتبر قبول المبادرات ، والدخول في مفاوضات الحلول السلمية ، عبارة عن تكتيك خاص وعملية لا تستهدف سوى كشف اسرائيل التي سترفض هذه الحلول وفضحها امام المجتمع الدولي واظهارها بمظهر المتعدي التوسعي المهدد للسلام في المنطقة ، وتجريدها بالتالي من التاييد العالمي ، واكتساب جزء من « المناورة الخارجية » .

وبفضل « معسكر الدعوة للحرب » عددا من الدول العربية وكافة فصائل المقاومة الفلسطينية ومن الواضح ان الواقع الجغرافي لهذه الدول والوضع الحربي الحالي (اي حتى نهاية ستة الحسم على الاقل) لا يسمح لها بالاشتراك في اي جهد حربي فعال ، اما المقاومة الفلسطينية ، راس حربة النضال ، ومشعل الصمود في سنوات الهزيمة ، فقد قدمت ولا تزال تقدم كل ما في وسعها من جهد وتضحيات وداء في سبيل تكريس الكفاح المسلح كرد على التحدي والاحتلال ولكن مؤامرة النظام الاردني المشبوهة افقدتها جزءا لا يستهان به من قدراتها القتالية ، وحرية عملها ، وامكاناتها في تثوير الجماهير ، واعدادها لخوض معارك حربنا التحررية العادلة .

والميدان مفتوح اليوم كله امام « معسكر الحلول السلمية » قياسا على منطقه ذاته : فلقد نفذ خطته الى اخر مداها ، اذ اعد عدته ، واعاد تنظيم جيوشه ، « ووحد » اقاليمه ، وزاد ارتباطه بالاتحاد السوفياتي ، وطرح الحلول ، وقام بالمبادرات ، وبعث الوفود الرسمية والشعبية الى كافة ارجاء الارض ، وقام بالاتصال داخل الامم المتحدة وخارجها ، وحقق الهدف الذي يصبو اليه عندما كسب الراي العام العالمي وكشف تعنت اسرائيل وامريكا ، وفضح تحديها للمجتمع الدولي ورفضها للتقيد بالمقررات والتوصيات ، وبرهن على نواياها العدوانية .

ولم يكتف بذلك « بل لحق الكذاب الى وراء الباب » وعرض الموضوع برمته على هيئة الامم المتحدة ليكسب حسب تعبير محمد حسنين هيكل « جو الشرعية الدولية وتعاطف الراي العام » (٦) وتحقيق خطوة هي « اقرب ما تكون الى توقيع بالتصديق على حكم » (٧) . ولقد لخصت صحيفة « الجمهورية » القاهرية كل ذلك بقولها : « ليس هناك من بعاري في اننا حققنا خطوات هامة محسوسة ، في مجال الراي العام العالمي، منذ ان التقطنا انفاسنا من جديد بعد نكسة يونيو . لقد استطعنا ان ندخل الى دائرة الاهتمام العالمي بدبلوماسيتنا النشطة ، وبوضوح اهدافنا وبعدالة قضيتنا . وساعدنا على ذلك بغير شك ، انفضاح الاهداف العدوانية لاسرائيل ، وانكشاف مراميها التوسعية ، واعتصامها بفطرسة القوة وغرور نصرها المؤقت .

واكتشفت اقسام واسعة من الراي العام العالمي ، بعضها كان معاديا لنا وبعضها الثاني كان لا مباليا على الاقل بقضيتنا ، ان مشكلة الشرق الاوسط مشكلة حقيقية لها جذورها التاريخية والاقتصادية والسياسية ، وانها تؤثر في احتمالاتها القائمة والممكنة على الحياة الاقتصادية والسياسية في اوروبا نفسها ، فضلا عن تاثيرها على امكانيات استقرار السلام العالمي » (٨) .

لقد كسب هذا المعسكر « المناورة الخارجية » التي طالما اعتبرها اعماره هدفا من اهداف المبادرات وذلك عندما اصدرت الامم المتحدة في ١٩٧١/١٢/١٢ قرارها بضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة .

ولكن ماذا بعد ذلك ؟

وهل يعتبر كسب « المناورة الخارجية » هدفا في حد ذاته ؟

وهل تستطيع هذه المناورة تحقيق هدف السياسة عندما يكون « هدف النزاع » فخما ؟

كلا !!

ان « المناورة الخارجية » كما راينا وسيلة لاعداد الحرب ، والحصول عليها يعني ان يوسع صاحبها الذي خطط لها الانتقال الى استخدام الوسيلة التالية : العنف ، والانتقال من مسرح السياسة الهادئة الى مسرح الحرب . وهذا يعني انه قد آن الاوان لتنتقل دول « معسكر الحل السلمي » الى « معسكر الدعوة للحرب » ولانتقالها هذا اهمية كبرى نظرا لانها تقف جغرافيا في مجابهة العدو ، ولان جزءا من اراضيها يقع تحت الاحتلال الاسرائيلي . اي انها تملك الواقع الجغرافي والدافع النفسي والقومي اللازمين للحرب .

وما دامت احتمالات الحرب كبيرة الى هذا الحد على حد ما نقوله لنا حملات الاعلام الراهنة وما دامت لحظة اندلاعها تقترب بسرعة مع اقتراب نهاية « سنة الحسم » ، فان بوسعنا طرح توقعاتنا لهذه الحرب في حال الافتراض بامكان حدوثها التي ستكون الجولة الرابعة في هذه المأساة ، دون ان تكون بالضرورة الجولة الاخيرة .

– ٣ –

تقف اسرائيل اليوم امام جبهتين عربيتين : الجبهة الشمالية (سوريا) ، والجبهة الجنوبية (مصر) . ولقد عمل النظام الاردني كل ما في وسعه لتحطيم الجبهة الشرقية ، وتوج عمله الهدام ذلك عندما صرح الملك لمجلة « نيوزويك تايمز » في ديسمبر ١٩٧١ بانه سوف لا يشترك في الحرب المقبلة ، كما « لا يسمح لاحد بان يجره الى المعركة » وستقاتل اسرائيل اذا ما وقعت الحرب – كما قاتلت دائما – على خطوط داخلية ، على حين ستقاتل الجبهتان الشمالية (الجيش السوري) والجبهة الجنوبية (الجيشان المصريان الاول والثاني) على خطوط خارجية ، فما هو شكل المعارك المتوقعة ؟

تعتبر العقيدة العسكرية الاسرائيلية الهجوم اساسا في عملياتها الحربية ، وهي تستخدمه على نطاق استراتيجي عندما ترغب بالهجوم ، كما تستخدمه على نطاق تكتيكي في الجبهات التي تفظر فيها للدفاع . وهذا ما يجعل دفاعها ديناميكيا متحركا . والجيش الاسرائيلي كله مبني على هذه العقيدة (تدريب – عتاد – معدات – تشكيلات) ووفقا لمتطلباتها .

وتلجأ اسرائيل عادة الى استخدام الهجوم الوقائي عندما تلاحظ اقتراب الخطر . وهي تختار وقت الهجوم قبل تكامل الاستعدادات العربية ، وتختار لحظة ومكان الهجوم بشكل يلائم خطتها ، وليس لدينا الان ما يدفعنا الى الاعتقاد بانها ستتصرف بشكل مغاير لذلك . صحيح ان عزلتها العالمية ، وادانتها شبه الكاملة ، وتخلص الاعلام العربي من بعض اخطائه سوف يحرمها من عطف العالم ويجعلها في موقف اضعف من مواقفها السابقة . ولكن حجم الدعم الاميركي ، المنتظر وعجز المنظمة الدولية وعدم قدرتها على فرض قراراتها خلال اربع سنوات ونيف ، وشلل هذه المنظمة خلال الصراع الاخير في شبه القارة الهندية ، عامل هام في اثارة شهية اسرائيل للعدوان ، ودفعها الى تكرار خطتها السابقة .

فاين ستكون الضربة هذه المرة ؟

نضطر الدول التي تقاتل على خطوط داخلية امام خصوم يقاتلونها على خطوط خارجية الى اسلوب يتلخص في الدفاع امام احد الخصوم مع الاستناد الى مانع طبيعي ، او موانع اصطناعية قوية (خطوط دفاعية محصنة – مستعمرات قتالية) ومجابهة الخصم الاخر وتحطيمه ، ثم العودة لتحطيم الخصم الاول . ويعتمد هذا الاسلوب على خفة الحركة ، وسرعة المناورة ، والقدرة على حسم المعركة بسرعة بغية الانفراد بالخصوم ، وتحقيق التفوق على كل واحد منهم ، وتدميرهم واحدا تلو الاخر . ولم يخرج الجيش الاسرائيلي عن هذا الاسلوب في حروبه الثلاثة . حتى انه عمد في عام ١٩٦٧ الى تكرار خطة عام ١٩٥٦ نفسها دون تبديل جوهري .

ويتم استخدام هذا الاسلوب بطريقتين :

– طريقة « فعم الظهر » : اي ان يدافع الجيش المقاتل على الخطوط الداخلية امام اضعف خصومه ، ثم يهاجم الخصم الاقوى . فما ان يحسم المعركة معه حتى يسقط الخصم الضعيف من تلقاء نفسه بعد هزيمة حليفه . ويشترط هذه الطريقة افتتاح قيادة الجيش التي يطبقها بقدرته على الانتهاء من الخصم الاقوى بسرعة فائقة ، وقبل ان يستطيع الخصم الاضعف خرق الدفاع ومهاجمته من الخلف . واوضح مثال على تطبيقها هو حرب ١٩٦٧ . فلقد خططت قيادة العدو معركتها على اساس التخلص من الجيش المصري في سيناء بسرعة بعد ضرب طيرانه ضربة مفاجئة وكاملة . وكان لديها من الاسباب ما يجعلها واثقة من قدرتها على ذلك ، كما كان لديها من الحماية الاميركية ما يضمن سلامتها وامنها في حالة الفشل . وادى النجاح على الجبهة المصرية الى انهيار الجبهتين السورية والاردنية بشكل محتوم.

– طريقة « ضرب البطن الرخو » : اي ان يسدد الجيش المقاتل على الخطوط الداخلية ضربة الى الخصم الاضعف بعد ان يضع قسما كبيرا من قوته للصمود دفاعيا امام الخصم الاقوى . وما ان ينتهي من الضعيف حتى يلتفت كلية الى القوي ، ويشتبك معه بكل قواته ، بعد ان يؤمن ظهره بشكل كلي .

فما هي الطريقة التي سيختارها العدو في الجولة الرابعة ؟

ان طبيعة الدفاع المصري الحالية وحجم القوات المنتشرة على القناة ، وطبيعة الحماية الجوية بصواريخ ارض – جو ، وحجم الطيران المصري ، واستناد الدفاع المصري على حاجز مائي يجعل من المتعذر على الجيش الاسرائيلي – بحجمه الحالي تحقيق خرق كامل ، والوصول الى مفاجاة على قرار مفاجاة عام ١٩٦٧ . وهذا يعني انه عاجز عن تحقيق الحسم على الجبهة المصرية . وان ميزان القوى على هذه الجبهة سيضطره الى الاشتباك بحرب استنزاف محدودة لا يريدها ولا يتوقع الافادة منها .

ولقد كثر الحديث عن الاستنزاف منذ عام ١٩٦٨ وتساءل المحللون العسكريون : هل يمكن استنزاف اسرائيل وهي التي تفرف من بحر المتاد والاقتصاد الامريكي ، وتدير حربا في الصحراء بعيدا عن مناطقها المكتظة ؟ ولم يكن الجواب على هذا السؤال سهلا نظرا لتشابك العوامل الاقتصادية والبشرية والعسكرية والمعنوية التي لعبت دورها في معركة الاستنزاف المصرية – الاسرائيلية . ولكن بوسعنا ان نؤكد بانه مهما يكن حجم الدعم الاميركي تلادي كبيرا ، ومهما تكن قدرة اسرائيل على تحمل استنزاف المتاد التبادل كبيرة ، فان قدرتها على تحمل الاستنزاف البشري محدودة الى ابعد مدى . ولا تستطيع الولايات المتحدة دعمها في هذا المجال على نطاق واسع . وهذا يعني انها لن تتورط على جبهة القناة بمعارك طويلة غير حاسمة ، تنهك قواها البشرية على الاقل .

ولقد نقلت وكالة الانباء الفرنسية عن المراسل العسكري لصحيفة « جيروزاليم بوست » في ٢٢ كانون الاول « بان القادة الاسرائيليين لا يريدون باي ثمن مواجهة حرب الاستنزاف، وانهم يؤيدون تصعيد المعارك على امل وقف القتال في اسرع وقت ممكن » . كما اشار رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال حاييم بارليف امام مجلس العمد في ١٩٧١/١٢/١٩ الى الفكرة نفسها عندما قال : « وقد تندلع حرب شاملة . وفي هذه الحالة سيكون هدف اسرائيل العمل على منع العدو من كسب اية ارض ومحاولة وقف اطلاق النار باسرع ما يمكن » (٩) . وهذا يعني بان اسرائيل لن تلجا في البداية الى مناطحة الجيش المصري على القناة ، لان هذا يطيل مدة الحرب ويجعلها حربا محدودة . ولكنها ستحاول ان تجعلها حربا شاملة قصيرة وسريعة ، يضطر العرب فيها الى المطالبة باوقاف اطلاق النار بعد جولة حاسمة . والاحتمال الاكبر امامها هو الدفاع على القناة مع الاستفادة من التحصينات التي اقامتها على الضفة الشرقية – وهي اقوى تحصينات اقامتها في تاريخها – وتسديد ضربة الى الجيش السوري المتمركز على خطوط وقف اطلاق النار جنوب دمشق .

واذا كان وجود القناة كحاجز مائي منيع يتطلب اجتيازه نفولا لا يملكه العدو ، واذا كان حجم الطيران والجيش المصريين قادرا على ردع العدو ومنعه من التفكير بمغامرة العبور الخطرة ، فان حجم الجيش والطيران السوريين ، وطبيعة الارض المنبسطة الحالية من المواتع الطبيعية ، قد تغري العدو باجراء هذه العملية التي تتصف بانها « ضربة مباشرة » لسوريا ، ولكنها في الوقت نفسه « ضربة غير مباشرة » للخصم الاقوى مصر .

ولا يمكن ان تنجح هذه الخطة الا اذا كانت الضربة الممددة الى الجبهة الشمالية حاسمة وسريعة ومفاجئة بشكل يؤمن لنفيذها بافل خسارة ممكنة للمهاجم ، كما يؤمن انتهاء العمليات وسحب القوات الاسرائيلية ونقلها الى الجبهة المصرية قبل ان تتورط في الشمال بشكل كبير وقبل ان يتمكن الجيش المصري من خرق تحصينات الضفة الشرقية ، والاندفاع نحو الشرق والشمال بقوات كبيرة .

ولكي يحقق العدو هذه الغاية ولا يضطر الى القتال الطويل على جبهتين لا بد له من جمع قوة آلية مدرعة كبيرة مدعومة بقوة جوية متفوقة، كما لا بد له من تجنب خط الدفاع السوري والابتعاد عن الهجوم الجبهي على محور الجهد الرئيسي في الجبهة السورية، والقيام بالالتفاف على الجناح الايمن للقوات السورية المحتشدة جنوب دمشق برافقه التفاف على جناحها الايسر يرتل ينطلق من هضبة الجولان عبر حوران باتجاه الشمال الشرقي ، ثم ينقسم الى قسمين يتجه احدهما باتجاه الغرب ليلتقي مع جناح الكماشة الايسر جنوب غوطه دمشق مطوقا بذلك القوات المنتشرة على خطوط وقف اطلاق النار ، على حين يلتف القسم الثاني بحركة واسعة نحو الشرق ثم الجنوب ليطوق منطقة حوران وجبل العرب ويقطع طريق القوات الموجودة فيها ويحصرها بين قواته ووادي اليرموك وحدود الاردن . على ان يرافق كل عمليات التطويق هذه عمليات انزال قوات محمولة جوا وراء الخطوط الدفاعية بشكل يؤمن منع القوات الاحتياطية الاستراتيجية السورية من الاشتراك في المعركة ، ويحاصر قوات الجبهة ثم يعمل الى تفتيتها الى جيوب .

ويلاحظ هنا ان العدو سيحاول على الاغلب اغلاق الطوق جنوب غوطه دمشق حتى يكون قتاله كله في الاراضي المكشوفة التي تساعد على استخدام المدرعات والطيران الى ابعد مدى . وحتى لا يضطر الى اضاعة وقت ثمين وبخسر قسما من اهمية طيرانه ومدرعاته بالاشتباك مع المقاومات الموجودة في الغوطة (قتال بين البساتين) او بالاشتباك بقتال الشوارع داخل دمشق نفسها .

ومن المحتمل ان يبقى العدو في المناطق الجديدة التي احتلها ليستخدمها كورقة جديدة في عملية الضغط السياسي للوصول الى الهدف المزدوج « الامن والتوسع » . وقد يضطره الوضع الدولي الى الانسحاب فينسحب ، ليوجه كيد قواته نحو الخصم الاقوى (مصر) دون ان يفكر باي خطر قادم من الشمال .

ولقد كانت هذه الحركة التطويقية حول الجبهة السورية محور تفكير القادة الاسرائيليين الذين كانوا يرون قبل عام ١٩٦٧ بان خرق هضبة الجولان عملية باهظة التكاليف ، وان الالتفاف حولها اقل كلفة واشد امنا ، ولكنه يتطلب خرق حدود لبنان والاردن ، واجراء تطويق واسع النطاق بكماشة يلتقي طرفاها خلف هضبة الجولان . ولكن وجود هذه الهضبة الان تحت الاحتلال الاسرائيلي المؤقت جعل هذه العملية ممكنة دونما حاجة الى اجتياز الحدود اللبنانية والاردنية ، مع العلم ان هذا القول لا ينفي نهائيا احتمالات اجراء الالتفاف استراتيجي واسع النطاق يرتل يجتاز الاراضي الاردنية ، ويطلف جنوب سوريا كله . خاصة وان الموقف الاردني الحالي المتخاذل ، وضرب الهياكل العسكرية الاساسية لحركة المقاومة في شرق الاردن ، عبارة عن عوامل مساعدة لتنفيذ مثل هذا الالتفاف .

ومن المؤكد ان صمود الجيش السوري عدة طويلة ، ودفاعه العنيد دون فكرة التراجع ، والحاقه اكبر خسارة ممكنة بالعدو البري والجوي ، وعدم التنازل عن اي شبر من الارض دون ان يدفع العدو ثمنه من الرجال والعتاد ، واستمرار المقاومة في كل نقطة ، وعدم انهيار الجبهة الشمالية مهما كانت التضحيات والخسائر بالمدات والاشخاص والارض ، و « ظن » القوات المهاجمة بمقاومة صلبة مبنية

(٦) الاهرام ١٩٧١/١١/٢٦ .

(٧) الاهرام ١٩٧١/١١/٢٦ .

(٨) الجمهورية ١٩٧١/١٢/٢٠ .

(٩) الاهرام ١٩٧١/١٢/٢٢ .